نظامنا الاجتماعي

(٩) حب الوطن

الوطنية ان تحبّ بلادك فتقوم حيالها بالواجبات التي عليك فتعمل على تحريرها إن كانت مستعبدة وعلى ترقيتها إن كانت متأخرة وحب الوطن غريزة في كل حيوان فالطيور تحن إلى اوكارها والابل تحن الى أعطانها كذلك الانسان يكون أشوق المخلوقات الى وطنه إذا نزح عنهُ ولله در ابن الرومي إذ قال

وحبّب اوطان الرجال إليهمو ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو ... عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

حبّ الوطن شعور طبعيّ وليس معنى ذلك ان التربية لا تعمل كثيراً في تنمية ذلك الشعور بل تنميه ولا تخلقه. ولا يعنيك أن تذكر ان البلد قد يصغر او يكبر وأن هنا او هناك تقسيماً سياسياً فإن الحس ينبسط كما يشاء ولا عبرة بدقة التحديد لانهُ لا يخضع للمنطق — تحبّ وطنك من غير ان تفكر في ذلك ولقد ينشأ الاعرابي في الصحراء ومع ذلك تراهُ يفضل وطنه هذا على جميع بقاع الارض

روى الجاحظ فقال « قيل لاعرابي كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظلّه. قال وهل العيش إلا ذاك عشي أحدنا ميلاً فيرفضُّ عرقاً ثم ينصب عصاهُ ويلقي عليها كساءهُ ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنهُ في ايوان كسرى » والحضريّ قد يولد في أرض الوباء والعسر فإذا وقع ببلاد أخصب من بلاده واستفاد مالاً حنّ الى وطنه ومستقره فلا تعجب إذا رأيت جهات لا يبرحها أهلها وهي مباءة حيّات ومثار قراقس ومطفى مياه ومعصف رياح. لأن حبّ الوطن شعور متغلغل في النفوس ولا غرو اذا جاهر ذلك الاعرابي بأن وطنه أحب بلاد الله اليه إذ قال

أحب بلاد الله ما بين منعج ... إليّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها حل الشباب تمائمي ... وأول ارض مسّ جلدي ترابها

وكلما كان الوطن قفرا وأهله مجهودين كان حبنا له أشد كأن الله أراد ان يبرهن أن الناس انما تحب الوطن لذاته لا لذاته ولقد يبلغ منا حبّ الوطن أن نعمل أعمالاً تناقض حب الاسرة أو حب الانسانية كبذل النفس والاهل والمال في سبيل الدفاع عنه

وتستطيع ان تخدم وطنك من طرق كثيرة أهمها :

(١) أن تقوم بواجبك وهذه وطنية الناس اجمعين فأداء كلّ واجبه فى صنعته وفى داره ومع أسرته وصحابته وانتخابه خير الناس إذا انتخب وتعضيده المشروعات النافعة وطنية حقة ترفع شأن الوطن وتعلى قدره — وكل انسان يستطيع ان يخدم وطنه من طريق اداء الواجب فالفلاح فى زراعته والصانع فى صناعته والتاجر في تجارته والمعلم فى درسه والتلميذ في مدرسته والقاضى فى دسته والطبيب فى مستوصفه والمدير فى مكتبه ومحكمته والصحفىّ فى صحيفته فى نصرة الحق وخذلان الباطل إذا قام كلّ منهم بواجبه حق القيام فقد خدم وطنه — وكل أولئك واشباههم يقال لهم وطنيون مخلصون للوطن إذا أدوا ما عليهم وآثروا الوطن على انفسهم — وقليل ما هم —

(٢) الدفاع عن البلاد إذا هاجمها العدو أو اراد العبث بحريتها ألم تر إلى الكماليين كيف صانوا بلادهم واحتفظوا بحريتهم بحسن دفاعهم وصدق بلائهم وقوة صبرهم وإنّا لنراهم المثل الأعلى فى خدمة الوطن فى ذلك الزّمن

وبم ينهض الوطن ؟ أبا لحكومة أم بالقانون ام بالآداب — ينهض الوطن بالامة وهى التى توجد الحكومة والقانون وتضع حداً للآداب

واذا كانت حياتنا غاية ما نحرص عليه فى الدنيا وانا لنبذلها فى سبيل الوطن كان الوطن أحبّ الينا من ارواحنا . لذلك كان حب الوطن اقدس الواجبات علينا — أليس من الوطن شىء فى تربيتنا الاولى التى هى منشأ اعز مشاعرنا واثبت اعتقاداتنا وعاداتنا التى لا تقهر . كيف وفيها الوطن كله — فاذا ما شئنا ان نحطم نصب الوطن وجب أن نذهب إلى المنازل فنذرو ما فيها من رماد بل نتبش قلب الإنسان فننزع ما فيه من الأصول الاولية للحبّ ولكى نفهم مقدار ما للوطن من التقديس يجب أن نذكر أنه لا يمكن الاعتداء على منافعه العامة من غير اعتداء على الأسرة . بل إنه هو الأسرة حقاً أو ليس الوطن مهدنا ولحدنا ففيه نحيا وفيه نموت

ولا يضيع وطن أمة إلا إذا اضاعت لغتها وعاداتها ودبّ دبيب الشحناء بين أبنائها . بهذه المعاول تقوضت أمة الهند بالشرق والجزائر بالغرب ولا يزال الوطن بخير ما احتفظ اهله بلغته وعاداته وسادت المحبة بين أبنائه وعلى قدر احتفاظ الامة بكل أولئك تكون سلامة الأوطان وارتفاع شأنها وهذه حقيقة لا يجهلها الا من جهل نفسه فاذا فقدت الامة لغتها وعاداتها وآدابها فقد فقدت استقلالها وحريتها

واندمجت في غيرها من الامم التي تكلمت بلغاتها وتعودت عاداتها وتأدبت بآدابها وهذا سرّ فناء الامم وفقدان شخصيتها وليس سر الفناء وضياع الاستقلال كما يفهم كثير من الناس هو القوة التي تتجلى مظاهرها في السيف والمدفع والطيارة والغواصة والجيش الجرار فالقوة يعقبها ضعف والعنف يعقبه لطف والامة المحتفظة بشخصيتها أبقى من كل قوّة

وهذه أمة اليونان قد لبثت زهاء اربعمائة سنة في أحضان تركيا فلم تتغير لغتها ولا عاداتها ولا آدابها ولا دياناتها . فعادت بعد هذه القرون مملكة مستقلة كما كانت ولم تنس في برهة ما انها امة منفصلة تمام الانفصال عن الامة الحاكمة ولم تدع فرصة تمر حتى رفعت رأسها مطالبة باستقلالها عاملة على تحقيقه ولو كانت السياسة العثمانية عملت على احلال اللغة التركية وعاداتها وآدابها محل اللغة اليونانية وعاداتها وآدابها بالطرق المشروعة لكانت بلاد هذه الامة في حضانة تركيا كبلاد تراقيا والاناضول الى وقتنا هذا . ولقد فطنت فرنسا لهذه الغاية . فعملت على تحقيقها في مستعمراتها . فالنظر الى حال الجزائر وتونس قبل المائة سنة المنصرمة والنظر اليها الآن تجد دليلاً ساطعاً على صحة ما نقول

سيقول السفهاء من الناس ان خير ما يرقى الامة المتأخرة أن تتعلم لغة غيرها من الامم الراقية لتنقل لنا بها علومها وآدابها وحضارتها ونقول نعم ولكن تكون هذه الغاية ثانوية حتى لا ننسى لغتنا وآدابنا وعاداتنا وحتى لا يكون من وراء هذه الغاية ان نمقت لغتنا فننساها ونحتقر عاداتنا الحسنة فنتبذها وندوس على آدابنا فلا نرعاها كيلا نكون قردة في التقليد

ولكن يجب ان يكون منا قادة ذوو عقول راجحة ووطنية حقة ينقلون الينا ما يقوّم من آدابنا بآداب غيرنا ولا نعنى باللغات الاجنبية العناية التي تجعلنا ننسى لغتنا وتجعلها تفنى باحياء لغة غيرنا وحتى لا نقلد الغربيين في عاداتهم وآدابهم الضارّة لا النافعة ولا زلنا نرى أنفسنا متأخرين وقد حاكينا الغربيين في ألسنتهم وكثير من عاداتهم وآدابهم وكدنا نفقد شخصيتنا فحقيق بنا أن نقف عند هذا الحدّ من التقليد ونرجع إلى مميزاتنا الاولية في الدين واللغة والعادات والآداب

نكتب هذا وننشره بين الملأ ونحن من أهل السلام ودعاة السلام خدمة للأمة والوطن والله على ما نقول شهيد ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس بمدرسة المعلمين الثانوية